مفاهيم التعايش والتواصل وقبول الآخر وأثرهم في معالجة القضايا المعاصرة

دكتور / أشرف عبد الرافع الدرفيلي

The concepts of coexistence and acceptance of others .. Islamic vision

Founding text of the Quran and the Sunnah formula for long and coexistence in the human meeting, based on security, tolerance and civil peace, in multiple verses.

Islam aims to establish a sound relationship with all the nations, where into consideration the rights of all and to promote peaceful coexistence among them is taken, and help sustain peace and friendship, and is based on a solid base, a Koranic la do wrong, nor do wrong Hence Islam laid down the rules and grounds for coexistence with the other in all circumstances and times and places, ensuring their interaction with one another and communicate with him without negligence in the Islamic constants, and remains the Prophet Muhammad Alosop good and good example in everything, true to the words of God:) I've had you in Messenger of Allah a good example for those who had hopes for Allah and the Last Day.

Messenger of God has left us many models of coexistence with the other within the Muslim community and outside, which is valid for a Muslim in every age, according to the requirements of the case and the time and place, and represent those models approach and a beacon for the Muslims in their relationship with the other, to be at the forefront of Nations in calling for peace and peaceful coexistence with different Nations and communities, and that their commitment to the fundamentals and principles of Islam, which calls for goodness and righteousness and cooperation in the framework of mutual respect, which are

المستشار الإعلامي ونائب الأمين العام بالمركز العربي للدراسات والبحوث ومتخصص بدراسات العقيدة والفلسفة الإسلامية

models list does not undergo revoked or disabled, and the reality and if individuals or groups is determined by the Muslims in the teachings of any model can continue to cooperate and achieve social peace and coexistence with the other.

For this we will review in our research study and analysis of the foundations and the foundations laid down by Islam, and has cemented its approach and drawing features the presence of the Prophet, and his purified family and his companions the good guys, and applied it practically a reality starting from the advent of Islam in Mecca and Medina, then to the Constitution of the city, with the martyrdom of the Prophet with talk that of the principle of coexistence and acceptance of others,and contribute to achieving cooperation and integration and brotherhood, and refuses to tankers and adversarial and exclusion, with the introduction of our most important factors that check the fundamentals of coexistence and reinforce social peace and acceptance of others.

مقدمة :

الحمد لله رب العالمين ،والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين .

يا رسول الله :

لهجت بذكرك مهجتي ولساني *** وحللت من قلبي بكل مكاني

فأنا بذكرك في البرية كلها *** علم وحُبُكَ آخذ بعناني

سلطان حُبِكَ في الهوى عين الهوى*** وبه تعزز في الهوى سلطاني

أنت النبي الهاشمي محمد *** صلى الإله عليك في القرآن

أنت الشفيع لمن عصى رب العلى *** أنت الدليل لجنة الرضوان

تالله لأذكرنك ما بقيت معمراً *** حتى الممات ولا يمل لساني

يؤسس النص القرآني والسنة النبوية صيغة للتعارف والتعايش في الاجتماع البشري، مبنية على الأمن والتسامح والسلم الأهلي، في آيات متعددة، منها قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ ﴾[الحجرات: 13].

ويهدف الإسلام إلى إقامة علاقة سليمة مع كل الشعوب، تؤخذ فيها بنظر الاعتبار حقوق الجميع وتعزيز التعايش السلمي بينهم، وتساعد على استمرار السلم والصداقة، وتستند على قاعدة قرآنية متينة وهي ﴿لا تظْلِمونَ ولا تُظْلَمونَ ﴾

ومن هنا أرسى الإسلام قواعد وأسساً للتعايش مع الآخر في جميع الأحوال والأزمان والأماكن، بما يضمن تفاعلهم مع الآخر وتواصلهم معه من دون تفريط في الثوابت الإسلامية ، ويظل الرسول الأكرم ﷺ الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة في كل شيء، مصداقاً لقول الله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ ﴾ .

وقد ترك رسول الله ﷺ لنا نماذج عديدة للتعايش مع الآخر داخل المجتمع الإسلامي وخارجه ، وهي صالحة للمسلم في كل عصر بحسب مقتضيات الحال والمكان والزمان ،وتمثل تلك النماذج منهجاً ونبراساً للمسلمين في علاقتهم مع الآخر، ليكونوا في مقدمة الأمم في الدعوة إلى السلام والتعايش السلمي مع مختلف الأمم والطوائف، وذلك بالتزامهم بثوابت الإسلام ومبادئه التي تدعو إلى الخير والبر والتعاون في إطار من الاحترام المتبادل ،وهي نماذج قائمة لا يعتريها إبطال أو تعطيل، وواقع وحال الأفراد أو الجماعات هو الذي يحدِّد للمسلم في هدي أي نموذج يمكن أن يتواصل ويتعاون ويحقق السلام الاجتماعي والتعايش مع الآخر.

لهذا سوف نستعرض في بحثنا بالدراسة والتحليل الأسس والمرتكزات التي أرساها الإسلام ، ورسخ منهجها ورسم معالمها حضرة النبي وآل بيته الأطهار وصحابته الأخيار،وطبقوها واقعاً عملياً بدءاً من ظهور الإسلام بمكة والمدينة،ثم استحضارنا لدستور المدينة ، مع الاستشهاد بالأحاديث النبوية التي تؤصل لمبدأ التعايش وقبول الآخر،وتساهم في تحقيق التعاون والتكامل والإخاء ، وترفض التناكر والتخاصم والإقصاء ، مع طرحنا لأهم العوامل التي تحقق ثوابت التعايش وترسخ للسلام الاجتماعي وقبول الآخر.

تساؤلات البحث :

1- ما هو مفهوم التعايش وقبول الآخر، وهل مفهومهم في الإطار الإسلامي يتلاقى مع الإطار المفهومي لأصحاب الأيدلوجيات الفكرية والدينية الأخرى ؟

2- ما هي أهم القواسم المشتركة التي أرساها الإسلام بين الإنسانية عامة والمسلمين خاصة للمساهمة في تحقيق التعايش وقبول الآخر وتطبيقه عملياً ؟

3- ما هي أبرز الصور المضيئة في سيرة الرسول ﷺ للتعايش وقبول الآخر وتُمثل تطبيقاً فعلياً ؟

4- هل يمكننا استخلاص رؤية إسلامية للتعايش وقبول الآخر من خلال النص القرآني والنبوي نتجاوز بها أزمات التخاصم والتناكر والعداء ؟

لهذا سوف نستعرض في بحثنا بالدراسة والتحليل الإجابة عن هذه التساؤلات من خلال النقاط التالية .

مفهوم التعايش :

التعايش في اللغة :عايشه :عاش معه، والعيش معناه الحياة، وهو العيش على هذه الأرض من بني آدم كافة دون تفريق ، ويعني التعايش في اللغة:الاشتراك في الحياة على الألفة والمودة، وهي على وزن (تفاعل) الذي يفيد وجود العلاقة المتبادلة بين الطرفين [1] ،وهذا اللفظ استعمل في سبعة مواضع من القرآن الكريم بتصاريف متعددة :(**الحاقة: 21، النبأ: 11، طه: 124، القصص: 58، الزخرف: 32، الأعراف: 10**) وسيراً على المعنى اللغوي تكون كلمة "السلمي" وصفاً مؤكداً لطبيعة التعايش.

والتعايش في الاصطلاح : هو تفاعل متبادل بين طرفين مختلفين في العادات والتقاليد والافكار والثقافات ، والتي ينتمي أفرادها إلى أصول دين واحد أو مغاير في الاصول أو الفروع ، والهدف من التعايش هو تسهيل التواصل والعمل المشترك بين فئات المجتمع ، والتلاقي مع الآخر ، وإزالة أسباب الاختلاف والتنازع وسوء الفهم .

ويسود مصطلح التعايش السلمي في الأوساط البدائية في المجال الاجتماعي، كالتعايش بين الأفراد أو المجموعات الأثنية أو القبلية ، وانتقل المصطلح من المجال الاجتماعي إلى المجال السياسي في ظل الدولة الحديثة القائمة على أساس التنوع الديني أو الأثني ، وما ينتج عنه من صراعات ونزاعات، ثم صار الآن مطلباً دولياً في ظل الصراعات المحلية والعالمية والدولية .

ومصطلح التعايش السلمي – كشعار سياسي – يعني البديل عن العلاقة العدائية بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة، ومع هذا لا مانع من التوسع في استخدامه في ساحة العلاقات الاجتماعية بين أتباع الديانات المختلفة وبخاصة المقيمين في دولة واحدة .

وإذا كان المفهوم يتجه إلى التعايش بين الاتجاهات المتباينة دينياً أو سياسياً ، فالحاجة ماسة –أيضاً– لبلورة رؤية مستوعبة حتى لأهل الملة الواحدة المتفقة دينياً والمتباينة من بعض الوجوه التي تؤدي إلى الاحتراب في كثير من البلدان ، وإذا كان الأمر كذلك فإنّ مفهوم التعايش السلمي يمكن أن يشمل الآتي:

– التعايش بين أهل الملة الواحدة .

– التعايش بين أهل الملل المختلفة .

– التعايش بين الدول المختلفة سياسياً .

– التعايش بين القوى الاجتماعية المختلفة [2].

مفهوم الآخر :

الآخر في اللغة : أخر الشيء : جعله بعد موضعه ، والآخر : أحد الشيئين ،ويكونان من جنس واحد ،والآخر مقابل الأول ، والآخر : هو من ليس أنا [3].

ومفهوم الآخر يتسم بقدر من التعقيد والتنوع والتغيير ، وهو مصطلح مرتبط وملازم للوجود البشري بدءاً من آدم ، والآخر حواء ، ولقد تنوعت العديد من الأسئلة حول هذا المصطلح – الآخر – فهل هو الآخر الجسدي " البيولوجي " ، أم الآخر النفسي " القيمي والأخلاقي " ، أم الآخر السلوكي من خلال صور ممارساته المتنوعة من العادات والسلوكيات المتباينة،أم الآخر من حيث الاختلاف في العقيدة والفكر والمذهب،أم الآخر الثقافي والآخر الحضاري والآخر السياسي والآخر (الطبقي) الاجتماعي ؟ [4]

وعموماً فإن مفهوم الآخر يتسم بطبيعته النسبية في الاقتراب – على مستوى الإنسان كجنس – والابتعاد – وخاصة في الجانب العقدي – رأسياً وأفقياً ، كما أن الآخر مفهوم يتسم بالجدلية عندما يوضع في دائرة التنوع الفكري والثقافي ، ويتعداه من الجدلية إلى دائرة العنف – المادي والمعنوي – في الدائرة السياسية التي تسيطر عليها المصالح المتصادمة والأهواء والنزوات المرتكزة على تغليب وفرض "الأنا" والتسلط .

القواسم المشتركة التي أرساها الإسلام للمساهمة في تحقيق التعايش وقبول الآخر[5]:

- **استرجاع وحدة الأصل الإنساني في ذاكرة الفرد :**

مما لاشك فيه أن الناس جميعا على اختلاف أجناسهم ، وتمايز ألوانهم ، وتباعد أقطارهم ، وتنوع مشاربهم ، يرجعون إلى أبٍ واحد ، وأصلٍ واحد ، فأبوهم آدم ...وأمهم حواء،ولقد تعدد ذكر هذه الحقيقة فى القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وبينها للمسلمين بأساليب شتى ، وآيات متعددة ، لكى يضعوها دائما فى حسبانهم وأمام أعينهم ، وتكون الأساس فى علاقتهم مع غيرهم من بنى جنسهم ، حتى لا تُظلل على عقولهم ويتوهموا أنهم أميز أو أفضل من غيرهم من بنى البشرية ، أو بعبارة أوضح " شعب الله المختار وغيرهم شعب الله المختار " ثم التمييز حتى بين أنواع الدم ، فنسمع : " الدم السامي والدم الخسيس الواطي " .

قال تعالى {هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ}(سورة الأعراف : 189)

وقال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} (سورة النساء آية 1) قال تعالى { يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } (سورة الحجرات :آية 13)

فهذه الآيات العظيمة وغيرها ، تقرر أصولاً أساسية فى الإسلام الحنيف ، ومرتكزات لا تقبل التغيير أو التبديل ، وذلك من أجل أن تعيش الإنسانية متآخية ، يجمع بينها الحب ، ويتعايشون على مبدأ التعاون والتساند والتعايش ، بدلاً من الصراع والقوة والعنصرية ،وكما يقول الإمام النورسي فى تفسيره لأية الحجرات : أى خلقناكم طوائف وقبائل وأمماً وشعوباً كي يعرف بعضكم بعضاً ، وتتعرفوا على علاقاتكم الإجتماعية لتتعارفوا فيما بينكم ، ولم نجعلكم قبائل وطوائف لتتناكروا وتتخاصموا .

وكذلك الأمر فى المجتمع الإسلامى الشبية بالجيش العظيم ، فقد قُسم إلى قبائل وطوائف ، مع أن لهم ألف جهة وجهة من جهات الوحدة ، إذ خالقهم واحد ، ورازقهم واحد ، وقبلتهم واحدة ، وكتابهم واحد ، ووطنهم واحد ، وهكذا واحد ، واحد ...، إلى الألوف من جهات الوحدة ، التى تقتضى الأخوة والمحبة والوحدة ، بمعنى أن الإنقسام إلى طوائف وقبائل كما تعلنه الآية الكريمة ، ما هو إلا للتعارف والتعاون لا للتنكير والتخاصم "[6] فالجميع خالقهم واحد ، وأبوهم واحد : وهو آدم عليه السلام ، وأمهم واحدة :

وهى حواء ، ومن آدم وحواء تسلسل منهم سائر الناس بالتوليد والتكاثر ، والمولى تبارك وتعالى ما جعلهم شعوبا وقبائل مختلفة ومتنوعة فى المكان ، والزمان ، واللون واللغة ، إلا ليحصل التعارف والتعاون فى مصالحهم المختلفة والمتنوعة والمتعددة .

والرسول صلى الله علية وسلم كثيراً ما تحدث عن الأخوة الإنسانية ، القائمة بين كافة البشر، فقال صلى الله عليه وسلم:" كلكم لأدم وآدم من تراب " [7]

وقوله صلى الله عليه وسلم : " أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، ألا لا فضل لعربي على أعجمى ، ولا لعجمى على عربى ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود ، إلا بالتقوى" "[8]

ولهذا فإن الإمام النورسي يبين فى كتابه الرائع " المثنوى النوري العربي " أنه يرى :" أنه بسر الإيمان والتوحيد،يرى أخوة بين كل الكائنات وأنسية وتحبباً بين أجزائها ، لاسيما بين الآدميين ولاسيما بين المؤمنين ، ويرى أخوة فى الأصل والمبدأ والماضى، وتلاقياً فى المنتهى، والنتيجة فى المستقبل"[9]

وبناء علية : فإن تلك الأخوة – الأخوة الإنسانية – التى تستند إلى وحدة الأصل الإنسانى ، تستوجب أن يؤدى حقها ، بأن يعيشوا مع بعضهم البعض فى حب ووئام وسلام ، رغم إختلاف العقائد والأديان ، وحتى هذه الاختلافات يمكن أن نتحاور معاً حولها ، بأسلوب لين وهادئ ، دون اللجوء إلى سفك الدماء ، وإنتهاك الأعراض والحرمات .

وإذا كان الخطاب القرآنى والسنة النبوية يؤكد وحدة الأصل الإنسانى ليتعايشوا ، فإن المسلمين هم أحق وأجدر وأحوج إلى تفعيل وتحقيق الوحدة الإسلامية ، تبعاً لما يأمر به هدى كتاب ربهم ، وتمسكاً بتعاليم نبيهم ، وتطبيقاً لوحدة قبلتهم .

المبادئ الإسلامية العامة للعلاقات الإنسانية لتطبيق التعايش وقبول الآخر :-

1-التكريم الإلهى للإنسان : مطلق الإنسان ،بغض النظر عن دينه أو عرقه أو جنسه أو لغته، أو لونه ، قال تعالى { وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا } (سورة الإسراء: 70)

ويترتب على هذا : أن الإنسان مصون ، وأن نفسه محترمة لمجرد دخوله الدائرة الإنسانية ، ففى الحديث الشريف، عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه قال " مرت بنا جنازة فقام النبى ﷺ وقمنا ، فقلنا يا رسول الله إنها جنازة يهودي ، فقال : أوليست نفساً ، إذا رأيتم الجنازه فقوموا " "[10]

2– العدل والمساواة بين الناس جميعاً : المساواة فى أصولهم ، وإرتباطهم بروابط النسب المشترك ، فالإنسانية كلها متصلة فى نسبها الأعلى ، يدل على ذلك الحديث النبوى من خطبة الوداع " أيها الناس إن ربكم واحد ، وإن أباكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب " [11] وعلى هذا كانت المساواة أصلاً بين الناس ، وما اختلاف فى أجناسهم ولغاتهم ، إلا آية من الآيات الدالة على قدرة الخالق {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ } (سورة الروم : آيه21) ويرسخ الإمام النورسي هذا المبدأ ، وهو المساواة فى العلاقات الإنسانية ، وذلك من خلال إجابته على سؤال تم توجيهه إليه ، عن كيفية مساواة المسلمين مع غير المسلمين ؟ فيقول : المساواة ليست فى الفضيلة والشرف ، بل هى فى الحقوق والواجبات ، فالسلطان الملك والفقير المسكين ، كلاهما سيان فى الحقوق والواجبات ،ألا تكفى لتصحيح خطئهم هذا ، محاكمة أمير المؤمنين الإمام على رضى الله عنه ، مع يهودى فقير،ومرافعة صلاح الدين الأيوبى – وهو مدار فخركم – مع نصرانى مسكين "[12] ثم قصة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع المصري الذي جاء يشكو إليه ما فعله ابن سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنهم ،فلما حضر عمرو بن العاص وابنه موسم الحج ، أعطى سيدنا عمر رضي الله عنه الدرة للمصرى وقال له : " أضرب ابن الأكرمين "

ثم التفت سيدنا عمر بن الخطاب وقال لسيدنا عمرو بن العاص قولته الخالدة : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا "

3 – حرية العقيدة : أرسى الإسلام مبدأ النهى عن الإكراة في العقيدة ، واستنكر فكرة القهر لإدخال الناس في ملة أو نحلة أو دين أو مذهب،ومن هنا فإنه لايجوز إرغام أحد على الدخول فى دين من الأديان أو الخروج منه لأن الإكراة على إعتناق دين من الأديان ينتج ويفرز منافقين متعصبين،لا مؤمنين متسامحين،ومن هنا كان المبدأ القرآنى الواضح فى حرية العقيدة {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ } (سورة البقرة :آية 256) وقال تعالى { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا } (سورة الكهف:29)

ولقد خاطب المولى تبارك وتعالى حبيبه ونبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم ببيان تحرير العقيدة من كل المؤثرات،فليس ثمة إكراه لأحد على أن يعتنق أى دين معين،ومذكراً إياه فى نفس الوقت،بقدرة الله على أن

يجعلهم مؤمنين إن شاء الله تعالى ذلك ، فقال تعالى {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ }(سورة يونس :آية99)

وبَيَن ربنا أن اختلاف الناس سنة ماضية من سنن الله فى خلقه { وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ } (سورة هود : آية 118)

ثم بين ربنا أن وظيفته صلى الله عليه وسلم ، محصورة فى التبليغ والتذكير فقال تعالى { فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنتَ مُذَكِّرٌ * لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ} (سورة الغاشية :آية 21- 22)

ثم بين ربنا أن التوفيق للهداية منوطة على صدق العبد مع الله ، فقال تعالى {لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللّهَ يَهْدِي مَن يَشَاء وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ فَلأنفُسِكُمْ وَمَا تُنفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغَاء وَجْهِ اللّهِ وَمَا تُنفِقُواْ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ }(سورة البقرة : 272)

4 – حرمة دماء الناس وأموالهم : هذا المبدأ لا يقف عن حد التعامل بين المسلمين فقط ، بل إن هذا المبدأ يطبق فى التعامل مع المسلمين وغير المسلمين على حد سواء ، ما لم يكن غير المسلمين أعداء أو محاربين ،وقد قص الله تعالى فى القرآن ما عاقب به الأمم السابقة لما طغت واستبدت ، واستعبدت وخربت ، وأفسدت ، وأهلكت الحرث والنسل لبنى جنسهم الضعفاء ،قال تعالى { ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد}(سورة الفجر :آيات رقم 6-14)

وليس هذا فحسب ، بل يؤكد القرآن على تحقيق الأمن ، وحفظ وصيانة الأنفس ، وحمايتها من التلف وحماية حرياتهم من أى عنف ، ولهذا فإن الله تعالى نهى نهياً شديداً عن قتل النفس البريئة بغير حق ، فقال تعالى { مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ } (سورة المائدة : آية 32)

ومن أجل بيان حرمة دماء الناس ، وأموالهم ، وأعراضهم ، رسخ هذا البيان بخطوة إستباقية تمنع إنتهاك هذه المحرمات ، من خلال عدم الإعتداء والتجاوز على حرمات الغير ، وأن من يقع فى هذه السقطة الشنيعة ،

فإنه مطرود ، وخارج عن دائرة الفوز بمحبة الله ، فقال تعالى { وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ } (سورة البقرة: 190)

وفى ضوء التشريعات السابقة ، سعى الرسول الكريم إلى بيان أن ربانية التشريع الإسلامى السمح وواقعيته قضت " أن تضع أعظم دستور للعدالة المحضة التى تقرر : أنه لا يهدم دم برئ ولا تزهق روحه ، حتى لو كان فى ذلك حياة البشرية جمعاء " "[13] بل إن سماحة الإسلام تحث على إحترام الإنسان لإخية الإنسان ، والإحسان إليه ، والبر به ، والعدل فى معاملته ، وعدم التعرض له بالأذى ، حتى وإن كان غير مسلم .

قال تعالى {لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } (سورة الممتحنة : آية 8)

أبرز الصور المضيئة في سيرة الرسول ﷺ للتعايش وقبول الآخر وتُمثل تطبيقاً فعلياَ:

قبل أن نتحدث عن عظمة النبي صلى الله عليه وسلم ومعايشته وقبوله للآخر، لابد وأن نبين أن هذا التعايش لم يجعله قاصراً على شخصه الكريم ،بل سَنه دستوراً لأمته يطبقونه ممارسة وتعبداً يتقربون به إلى الله مع المسلم وغير المسلم ، من ذلك تحذيره صلى الله علية وسلم عن ظلم أهل الكتاب والمعاهدين :روى البخاري بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من قتل معاهداً لم يرى رائحة الجنة"[14]

وروى أبو داوود بسند صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:ألا من ظلم معاهداً أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس فأنا حجيجة يوم القيامة " [15] وحين نتأمل عظمة رسول الله فيما رواه الإمام أحمد وأبو داوود بإسناد حسن بسندهما عن أبى موسى الأشعري قال :كانت اليهود يتعاطسون عند النبي صلى الله عليه وسلم رجاء أن يقول لهم :يرحمكم الله، فكان يقول لهم : يهديكم الله ويصلح بالكم " "[16]

وجاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال إن دوساً هلكت أي عصت وأبت فادع الله عليهم فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اللهم اهد دوساً وأت بهم " "[17]

ودعا لأم أبي هريرة فقال : " اللهم اهد أم أبي هريرة ""[18] فهداها الله تعالى وأسلمت .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء بنت أبي بكر : صلي أمك .

هذه النماذج المضيئة من سيرة الرسول الشفيع وسنته توضح حرص رسول الله على ترسيخه لمبدأ التعايش والتواصل مع الآخر والدعاء له بالهداية حتى وإن كان مخالفاً لي في الفكر أو المذهب أو حتى المعتقد .

وإذا تجولنا في بستان سيرة رسول الله العطرة ، فإننا سنجد نماذج لا يحصيها العد ، ولكننا سنحاول أن نشير –كلقطات ولمحات – إلى أروع صور التعايش النبوي وتواصله مع الآخر بدءاً من نقطة التعايش الأولى والتي تمثلها مكة ، وحتى بناء الدولة الإسلامية الحديثة في المدينة .

لقد رسخ حضرة النبي الكريم أولى لبنات التعايش في مكة بين قومه ، على الصدق ومكارم الأخلاق ، كان شاباً صلى الله عليه وسلم فيه حماسة الشباب ، ولكنه لم يتنزل إلى ما يتنزل إليه الشباب من عبث ولهو ، بل كان سمته الجد والعفاف ، وطابعه الوقار والكمال ، مع سماحة في الطبع ، وطلاقة في الوجه وحلاوة اللسان،جعلته محبباً إلى كل من يعاشره أو يلقاه ،مما جعل الآخرين يقرون بتسمية الرسول صلى الله عليه وسلم بالصادق الأمين، ، وأنه وفي لا يغدر،وناصح لا يغش، ورحيم القلب، وكريم العشرة وحسن الجوار، مع أن الرسول كان يخالف قومه في كثير من عاداتهم وأخلاقهم ، إلا أنه كان يعيش بينهم كواحد منهم ، يألفهم ويألفونه ،ويحبهم ويحبونه ،ولم تكن أخلاقهم الجافية ولا عاداتهم المرذولة تجعله يشذ في معاملتهم أو يتأفف في معاشرتهم ،ولم تكن مخالفته لهم في الطبع تمنعه أن يشاركهم فيما لا ينافي الفضيلة من أعمالهم وتقاليدهم ، فقد حضر الرسول وهو في الخامسة عشرة مع قومه "حرب الفِجَار" وكان سببها أن رجلاً من قريش غدر برجل من هوازن ،فقتله في الأشهر الحرم التي حُرم فيها القتال ، فكان الرسول يجمع السهام التي يرمى بها الأعداء ويردها على أعمامه ليصيبوا بها ، وقد حَدَّث النبي أصحابه عن حرب الفجار فقال : قد حضرت فيه مع أعمامي ورميت فيه بسهم ، وما أُحب أني لم أكن فعلت "، كما شارك في "حلف الفضول" وهو في سن العشرين ، وهو حلف تعاهدت فيه قبائل مكة على نصرة المظلوم حتى يُرد إليه حقه ، وقد حَدث النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه عن هذا الحلف فقال :" لقد شهدت في دار عبد الله بن جُدعان حلفاً ما أُحب أن لي به حُمر النَّعَم،ولو دعيت به في الإسلام لأجبت "[19] كما شارك صلى الله عليه وسلم مع قومه في بناء الكعبة حين أصابها سيل فتصدعت ، ولكن تلك المشاركة لرسول الله صلى الله عليه وسلم كانت فارقة في حياة أهل مكة جميعهم ،وفي تلك المشاركة الإيجابية تتجلى حكمته وصواب رأيه صلى الله عليه وسلم في إزالة العوائق التي أودت أن تعكر صفو التعايش بين القبائل في مكة ، وخاصة حين تنازعوا فيمن يكون له شرف وضع الحجر الأسود بالكعبة،وارتضوا به حكماً،فاقترح صلى الله عليه وسلم بوضعه في ثوب تمسك بأطرافه من ينوب عن جميع المشاركين في بناء الكعبة ،فقال صلى الله عليه وسلم :" هلموا إلي ثوباً ، فجاءوه بالثوب،فأخذ الثوب فبسطه على الأرض ثم أخذ الحجر فوضعه في وسط الثوب ،ثم قال : لتأخذ

كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ، فوضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة في مكانه ثم بنى عليه "[20]

وتتجلى أبرز صور التعايش وقبول الآخر في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسنته بالمدينة المنورة ، حيث بدأ النبي صلى الله عليه وسلم في تأسيس كيان أول دولة إسلامية موحدة بالله تعالى ،وأنه واحد أحد فرد صمد لم يلد ولم يولد ، وأن خَلقَهُ عبيد له ، وأن الجميع متساوون في الحقوق والواجبات ، وأنه لا فرق بين عربي ولا أعجمي ، ولا فقير ولا غني إلا بالتقوى والعمل الصالح ،ووضع قواعد التعايش السلمي والمجتمع الصالح ، وأن المسلم أخو المسلم ،أخوة فوق أخوة النسب،أساسها قول الله تعالى {إنما المؤمنون إخوة } وأكد هذا المعنى حضرة النبي وشدد على تطبيقه فقال : " المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ،ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته " وعلى هذا الأساس آخى رسول الله بين المهاجرين والأنصار ، فكان الأنصاري يشاطر أخاه المهاجر داره وماله ، ولكن المهاجرين لم يستغلوا هذه العاطفة الجياشة والمعايشة الكريمة في إخوانهم الأنصار ليعيشوا كلاً عليهم ، بل أخذوا يسعَون ويكدون في سبيل العيش ، فاشتغلوا بالتجارة والزراعة "[21].

ولكن نتسأل : كيف وصل حضرة النبي بالمجتمع العربي لهذا المستوى من التعايش والمؤاخاة ؟ لقد كانت هذه الأخوة وهذا التعايش السلمي شيئاً جديداً وعجيباً على المجتمع العربي الذي قطعت أوصاله عصبية القبيلة والزعامة والمنافع الخاصة،فكم من حرب قامت بسبب هجاء أو بيت شعر ، وكم من حرب قامت بسب التنازع على بقعة عشب أو جرعة ماء ، وكم من حرب قامت بسبب نصرة آلهة مصنوعة من الأحجار وألواح الخشب والعجوى ، والمدينة – يثرب – كانت تضم بين طياتها جميع العناصر المتنافرة من العقائد والقبائل المختلفة،فقد كان اليهود يتألفون من ثلاث قبائل: بني النضير ،وبني قريظه ،وبني قينقاع ،وكل قبيلة مقسمة إلى بطون وعشائر ، وكان فيها العرب يتألفون من قبيلتين كبيرتين : قبيلة الأوس ، وقبيلة الخزرج ، وكانت كل قبيلة مقسمة إلى بطون وعشائر، وجميعهم من يهود وعرب لم يكونوا على وفاق ، سواء اليهود مع اليهود أو العرب فيما بينهم ، وكانت نيران العداوة دائماً مستعرة ، وما أن استقر رسول الله بيثرب إلا وأسس نظاماً دستورياً وقانونياً للتعايش السلمي والتواصل مع الآخر لم تشهد له سابقة على مر التاريخ ، ولم تصل لعظمته وسمو مبادئه أكبر الديموقراطيات الحديثة ، حيث كتب كتاباً بين المهاجرين والأنصار على ما يجب أن يكون بينهم من التعاون والتكافل والتناصر والإخاء والأخذ على يد الباغي،وأودع فيه اليهود وعاهدهم على أن يكونوا آمنين على أموالهم ودمائهم ومواليهم ، وأن يكونوا أحراراً في عقائدهم ، وكما تضمن الكتاب حرية العقيدة وحرية الرأي وحرية الهجرة والإقامة ، تضمن حرمة النفس وحرمة المال وحرمة الجوار وحرمة الوطن

ونصرة المظلوم ، ودعا الجميع إلى التعاون على البر دون الإثم، وجعل الاحتكام فيما يكون بين أهل هذه الصحيفة من خلاف،إلى الله وإلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ".[22]

نكران التعايش ورفض قبول الآخر :

إذا أردنا إعطاء نموذج لنكران التعايش ورفض الآخر،فإننا نجد ذلك متجسد دوماً في الرافضين لأي دعوة إصلاحية،أو منهجٍ إصلاحي،ولقد لاقى رسول الله وصحابته الأطهار من صنوف العداء ونكران التعايش وقطع التواصل مما لم يلاقيه نبي وأتباعه ، خاصة في مكة ،حيث أمعن صناديد مكة في مساعيهم لبتر الدعوة الإسلامية بشتى الوسائل والأساليب منذ اللحظة الأولى بإنذار الرسول لعشيرته الأقربين،وتفننوا في تعذيب الصحابة الأجلاء،بدءاً بسيدنا بلال بن رباح وآل ياسر وخباب بن الأَرَت وصهيب الرومي وعامر بن فهيرة وغيرهم كثير،أفتدى غالبيتهم واشتراهم سيدنا أبي بكر وأعتقهم،ولكن لما ضاقت بهم سبل التعايش في مكة،أشار عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالهجرة إلى الحبشة ، وبقي حضرة النبي بمكة يواصل دعوته،وعندما سيطر اليأس على صناديد مكة من صبر الرسول ومواصلته الدعوة، فرض الحوار نفسه بين الطرفين،حيث يروي ابن إسحاق أن عتبة بن ربيعة جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السلطة في العشيرة والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم ،وكفرت به من آبائهم ، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل بعضها ، فقال رسول الله : قل يا أبا الوليد أسمع : قال يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً ،جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تريد شرفاً سودناك علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا .. حتى إذا فرغ عتبة ورسول الله يستمع منه ،قال : أقد أفرغت يا أبا الوليد ؟ قال نعم ، قال فاسمع مني ، قال : أفعل ، فقرأ رسول الله عليه أوائل سورة " فصلت "[23] ففزع عتبة وأنشد الرسول بالقربى حتى يسكت خشية أن تصيبه التهلكة مما يتلوه رسول الله [24].

ولعل هذه الأساليب الإغرائية جميعها رفضها حضرة النبي ، وهي أساليب ما زالت السلاح الفعال للأجهزة الاستخبارية المعادية للإسلام إلى يومنا هذا من أجل الوقيعة بين الحكام والشعوب المسلمة وتفعيل القطيعة بينهم ، ولكن ما يلفت انتباهنا فيما سردناه ما يلي :

1- عظمة رسول الله وقبوله للحوار مع المخالف له في الفكر والرأي والمعتقد .
2- قبول رسول الله للحوار مع عتبة ، تأكيد من رسول الله على بيان رغبته في التواصل والتعايش

3- إن بداية الحوار لعتبة مع رسول الله " يا ابن أخي " وأعترافه بأن رسول الله منهم وله مكانته في السلطة والمكان في النسب،هي مقومات للتواصل وبيان القرب،وتذكير بالتعايش والقربى، وهي مقومات تساهم في إزالة معوقات التلاقي مع الآخر .

ولكن دعوة عتبة لقومه بعد عودته من لقاء رسول الله بأن يكفوا عن مطارته ودعوته ،لم تلقى آذاناً صاغية ، بل وجدت المكابرة والعناد،والأخيرتان كفيلتان بقطع أواصل التلاقي والتعايش في أي مجتمع ، وهذا ما حدث بالفعل " حيث اجتمعت قريش وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتاباً يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب،على ألا ينكحوا إليهم ولا يُنكحوهم،ولا يبيعوهم شيئاً ولا يبتاعوا منهم، وكتبوا ذلك في صحيفة وعلقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم،وحُصِرَ بني هاشم وبني المطلب بنسائهم وأطفالهم في الشعب،لا يصل إليهم طعام ولا شراب،ولكن شعرت رجال من قريش بسوء ما صنعت قريش،وكان من هؤلاء حكيم بن حزام وهشام ابن عمرو والعامري،فكان يأتي بالبعير محملاً بالطعام فيدفعه إلى الشعب ليلاً،وحين علمت قريش بفعله أغلظوا له القول وهموا بقتله لولا أبو سفيان ابن حرب قال لهم : دعوه .. رجل وصل أهله ورحمه .. أما إني أحلف بالله لو فعلنا مثل ما فعل لكان أحسن بنا "[25].

ثقافة الآخر بين الرفض والقبول [26]:

لقد أصبح هاجس " الآخر " واقعاً مفروضاً على حياتنا الفكرية والسياسية ، ودائماً مفهوم الآخر ملازم لطبيعة التعايش ، وأمر ملازم للتباين في الاستجابة والرفض بين طرفين ، ولكن مهما يكن من منظورنا للآخر قبولاً أو رفضاً ، فإن التشارك والالتقاء مع الآخر لا يتصور أن ينال من العقيدة ومن البناء القيمي والأخلاقي على السواء ، ولابد وأن نُقر بأن ثقافة الرفض والقبول للآخر تحكمها معايير سلبية وأخرى إيجابية ، فما يتوافق مع شرع الله وسنة رسوله ، وتساهم في التعايش السلمي وتحقيق الأخوة الإنسانية ، فتلك دائماً تقوم على أسس إيجابية ومعايير أخلاقية ، وتحقق القبول بين طرف وآخر ، وغير هذا لا يُحكم عليه إلا بالسلبية والعجز الفكري والأنانية .

وما حدث مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المعاندين والمعادين والمكابرين ، ليس شيئاً جديداً في التعامل بين طرفين على خط نقيض ، فلقد كانت ثقافة " الآخر " من مفردات مشهد الخلق الأول للإنسان – أي منذ خلق الله الإنسان – فالخليفة الذي خلقه الله وأخبر به الملائكة بأنه سيجعله في الأرض ، هو في حقيقة الأمر يمثل " الآخر " الذي طرأ على عالم فيه نوعان من الخلق : الملائكة المفطورون على الطاعة لله .. وجن مكلفون،وإبليس كان من الجن،وهو سابق على خلق آدم ،ولكنه

رفض أمر الله بالسجود لآدم [27] وبرر ذلك بتصور مغلوط ، ومعايير تحكمها " الأنا " بأنه خير من هذا " الآخر " الذي طرأ حديثاً على الوجود ، ووقع في شراك الفاضل والمفضول ، وأرجع الخيرية لدائرة المقارنة بين المادتين أصل الخلقة ، أي أنا خير منه لأن مادتي من النار ، وفي تصوره الناقص أن النار أفضل من الطين ، وما زالت تصورات إبليس تلتبس على كثير من بني آدم المخلوقين من الطين أنفسهم في بعض القضايا التي لا يسلموا بها إستكباراً وعناداً للحق والحقيقة [28].

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا [29]

وأخطر ما يترتب على ثقافة رفض الآخر ، هو عدم الخضوع لأي معايير أخلاقية في التعامل مع الآخر ، مما ينتج من جراء ذلك لأنتهاك محرماته واستباحتها لمجرد أنه الآخر ، وتُعد قصة أصحاب الأخدود [30] وقصة سيدنا لوط وما حدث من قومه [31] وقصة سيدنا يوسف وأخوته [32] والتي تعد نموذجاً مهماً لثقافة رفض الآخر ، فأحياناً تقع جريمة استباحة الآخر لكونه – حسب تصور من يستبيحه — سبب إقصائه عن موقع الأفضلية ، حيث يعجز الرافض لقبول الآخر عن حيازة موقع الأفضل بجهده واكتسابه ، فيصور أن التخلص من " الآخر " يحقق له ذلك ، ولعل مشهد الختام في قصة سيدنا يوسف هو المدخل الأفضل للتعايش والتسامح وإنشاء جسر للتواصل ، وتوضيحه أن ما حدث بينه وبين إخوته سببه الشيطان،يعيدنا إلى البداية عندما أسس الشيطان ثقافة رفض الآخر .

ولعل من أبرزسمات إبليس في رفضه للآخر : الآنا .. والعُجب .. والتكبر ، والآيات تبين موقفه المتعجرف ، فهو لم يطلب من الله فرصة للتوبة ، ولكنه طلب فرصة للتحدي والإغواء وإيقاع الآخر في المعصية ، أي فبدلاً من أن أسير " أنا " في طريق الخير،سأستدرج "الآخر" إلى طريق الشر [33].

لهذا نجد المنهج النبوي الرشيد ينهى عن الأنا والتكبر من أجل تحقيق التعايش السلمي والتلاقي مع الآخر على الود والمحبة ، فقد روى الإمام البخاري في صحيحه عن عبد الله بن مسعود ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر ، قال رجل : إن الرجل يحب أن تكون ثوبه حسناً ونعله حسنة ، قال الرسول الكريم : إن الله جميل يحب الجمال ، الكبر بَطَرُ الحق وغمط الناس " [34]

فتح مكة بداية نموذج مثالي للتعايش السلمي وقبول الآخر :

على الرغم من عناية الله برسوله ومن آمن معه ،وأكل الأَرَضَة للصحيفة وما كان فيها من جور وظلم إلا ما فيه ذكر الله ، فإن رسول الله لم يلقى رفض الآخر له بالمثل ، بل إنه كان دائماً يرسخ دستور

التعايش وقبول الآخر مهما اختلف معه في الفكر أو الرأي أو المعتقد ، وليس أدل على ذلك من وقائع صلح الحديبية وفتح مكة خاصة،حين وقف أعداء الأمس أمامه صاغرين تتطاحن رؤسهم بالأسئلة ؟ وعما سيفعله بهم سيدنا محمد ؟ هل سيصلبهم؟ أم سيحرقهم؟ أم سيسفك دمهم ويسبي نسائهم وأطفالهم؟ ماذا سيفعل من ألقينا على ظهره القاذورات وهو يصلي بجوف الكعبة ؟ وآذينا صحابته وجردناهم من أموالهم حين هاجروا ؟ وقتلنا عمه حمزة وثلة من صحابته الأطهار الأبرار؟

والرسول يطرح سؤاله عليهم بعدما رأى أن الظنون والهواجس أزابت عقولهم : ما تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم وابن أخٍ كريم .

الإجابة جاءت ممن وصفه ربه بأنه رحمة للعالمين ، كالصاعقة على مسامع أعداء الأمس : اذهبوا فأنتم الطلقاء .

لقد أراد حضرة النبي أن يؤسس طريقاً جديداً للتعايش، وأساس هذا التعايش قائم على التسامح والعفو عن هفوات الآخر، وإثبات أن هذا الدين يؤسس مبدأ العفو عند المقدرة ،والالتقاء والتعايش على المحبة والسلام والإخاء بين جميع أطياف البشر .

وذلك من خلال تحقيق قول الله تعالى {إِنَّمَا المُؤْمِنُونَ اِخْوَةٌ فَاَصْلِحُوا بَيْنَ اَخَوَيْكُم} (الحجرات: 10)

{اِدْفَعْ بِالّتي هِيَ اَحْسَنُ فَاِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَاَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ } (سورة فصلت :34)

{وَالْكَاظِمينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ والله يُحِبُّ الْمُحْسِنينَ} (سورة آل عمران : 134)

طرق التواصل والتعايش مع الآخر من منظور السنة النبوية المطهرة :

لقد أرسى حضرة النبي طرقاً عديدة ،تساهم في مد جسور التواصل ، وتؤسس لمجتمعٍ يتعايش على الحب والمودة ، وتحقق التكافل والتعاون المنشود، وهي طرق أخذت طابع الأمر بالتنفيذ ، وجعل من يسير على خطاها متعبداً وطائعاً لله ورسوله ، ولعل أبرز هذه الطرق [35]:

بر الوالدين : فالإسلام يريد مجتمعاً متماسكاً ، وهذا لا يتحقق إلا من خلال الترابط الأسري ، وعماد الأسرة الوالدين ، فإذا تحقق الترابط بين الأباء والأبناء ، نتج عن ذلك أستقرار المجتمع والتعايش الآمن ، لهذا شَرعَ القرآن وسن النبي ما يحفظ لهذا التلاحم الأسري الاستمرار والدوام ، وجعله قربة يتعبد بها العبد إلى الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : من سره أن يُمد له في عمره ويُزاد له في رزقه فليبر والديه "[36]

وقال صلى الله عليه وسلم : ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ؟ الإشراك بالله تعالى ، وعقوق الوالدين "[37] وذلك للتشديد على التواصل والتلاقي والتعايش ، والبُعد عن جميع طرق القطيعة .

صلة الرحم : لم يدع الإسلام طريقاً للتعايش والتواصل إلا وأمده من الجسور ما يكفيه ويحقق الغاية المرجوة،لهذا شرع من خلال النص القرآني والنبوي ما يضمن تحقيق ذلك،فقال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم:ألا أنبئكم بما يشرف الله البنيان ويرفع به الدرجات،قالوا نعم يا رسول الله،قال:تحلم على من جهل عليك،وتعفو عمن ظلمك،وتعطي من حرمك،وتصل من قطعك " [38]

ولعل نص الحديث يشدد على التواصل والتعايش ليس مع القريب الواصل ، ولكن الأمر والفوز بالثواب يتحقق مع الآخر المعرض ، الذي قطع جسور التواصل والتعايش ، ولا يقف الأمر على التواصل والتعايش ، بل وعلى التكافل والتعاون ، حيث يقول الرسول الكريم : أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم الكاشح "[39] ويقول صلى الله عليه وسلم : والذي بعثني بالحق لا يقبل الله صدقة من رجل وله قرابة محتاجون لصلته ويصرفها لغيرهم ، والذي نفسي بيده لا ينظر الله إليه يوم القيامة " [40]

حقوق الجار وحسن معاملته : لكي تتكامل شبكة العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، وتتلاحم دائرة التعايش والتواصل فيما بينهم ، أوصى الإسلام بمراعاة الجار وحسن معاملته ، وأوصى به خيراً وجعله كالقرابة وكاد يورثه ، واشترط لتمام الإيمان بالله واليوم الآخر حسن الجوار ، فقال الرسول الكريم : خير الأصحاب خيرهم عند الله خيرهم لصاحبه،وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره "[41] وقال : أحسن إلى جارك تكن مؤمناً "[42]

وعدد حقوق الجار فقال صلى الله عليه وسلم : أتدرون ما حق الجار ؟ إذا استعان بك أعنته ، وإذا أصابه خير هنيته،وإذا أصابته مصيبة عزيته،وإذا مات اتبعت جنازته ، ولا تستطل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه،ولا تؤذيه بقتار ريح قدرك إلا أن تغرف له منها،وإذا اشتريت فاكهة فاهد له منها، وإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولك ليغيظ بها ولده "[43]

والرسول صلى الله عليه وسلم يعرف طبائع نفوس البشر، نراه يضع أيدينا على مفاتيح التقارب بين القلوب،ومنها الإهداء الذي يفضي للمحبة،فعن أبي ذر قال،أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم فقال:إذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ثم أنظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف"[44]

صياغة مجتمعنا على التعايش وقبول الآخر [45]:

لابد من صياغة مجتمعاتنا من جديد،لابد من تغيير المجتمع كله إلى الإسلام،وبعبارة أخرى:أسلمة المجتمع ، وأسلمة الأفكار والمفاهيم ، وأسلمة القيم والأخلاق، وأسلمة العادات والتقاليد،وأسلمة الأنظمة والقوانين،وأسلمة الثقافة والإعلام،وأسلمة التربية والتعليم،وأسلمة العقل والقلب والجوارح، وأسلمة الوسائل والأدوات والأهداف والغايات ، وأسلمة ..... ؟

إن الإسلام دين عظيم ، وهو أفضل دين ، وهو مِنة ونعمة أنعم الله به علينا ، ومَن علينا بأكرم نبي أُرسل ، وأعظم كتاب أُنزل {لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى المؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} {آل عمران:164}

وقال تعالى{اليَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا} {المائدة:3}

الإسلام عظيم،ولكنه يحتاج إلى مسلمين عظماء يكافئون عظمته { هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالمؤْمِنِينَ} {الأنفال:62} لابد من المؤمنين ..إن رجلاً من الغرب درس الإسلام فأُعجب به،وأُعجب بتعاليمه، وأُعجب بعدله ، وأُعجب بقيمه، وأُعجب برحمته، وأُعجب، وبعد سرد طويل لما أعجبه، قال كلمة يجب أن نحفظها ونتفهمها جيداً،لأنها تقطع نياط القلوب التي تغار على هذا الدين الخاتم ، وتستنفر أصحاب الضمائر اليقظة ليهبوا لنجدة هذه الأمة،ماذا قال ؟ قال: ما أعظمه من دين لو كان له رجال،دين عظيم ولكنه في حاجة إلى رجال عظماء،دين قوي ولكنه في حاجة إلى رجال أقوياء،فواعجباً:تعداد المسلمين في العالم يتخطى المليار،ولكن للأسف الشديد لا يمثلون الإسلام حق التمثيل،لا يمثلون سماحة الإسلام وقيمه ومبادئه وعدله حق التمثيل،إنهم كما جاء في الحديث:" غثاء كغثاء السيل"[46] فليست القيمة في العدد ، ففي غزوة بدر نصر الله المسلمين مع قلة عددهم ، وهزمزا في أحد مع كثرة عددهم ، لماذا ؟ الإجابة : لأنهم في بدر نفذوا وطبقوا أوامر الله وأوامر رسول الله واقعاً عملياً دون تباطىء أو تكاسل ، وكانوا على قلب رجل واحد ، كانوا يمثلون وحدة الجسد والصف بمعناهم الحقيقي ، وليس شكلاً ، وفي أُحد لم ينفذوا أوامر الرسول الكريم ، فكانت الهزيمة .

نحن نريد قلة مؤمنة ، لا كثرة عاطلة ، نريد مسلمين مخلصين لدينهم يتعايشون على وفق منهج الإسلام، نريد الكيف قبل الكم ، لا نريد الكثرة الغثائية التي قال فيها الشاعر :

إني لأفتح عيني حين أفتحها على كثير ولكن لا أرى أحداً

لقد مر على المسلمين حين من الدهر كانوا فيه سادة العالم ، وقادة الدنيا ، سادوه بالإيمان والقرآن ، وقادوه بالعلم والإحسان ، حكموا فعدلوا ، واؤتمنوا فأدوا ، وكانوا للدنيا هداة خير ودعاة رشد ، وكانت لهم حضارة شامخة ، جمعت بين العلم واليقين ، ووصلت الأرض بالسماء ، وربطت الدنيا بالأخرة ، والعقل بالنقل ، والمادة بالروح ، والنظر بالتطبيق ، والفكر بالواقع ، والعمل بالإيمان .

وإذا بنا نصبح في المؤخرة ، بعد أن كنا في المقدمة ، تُملى علينا الأوامر بعد أن كنا نأمر ، ونقاد بعد أن كنا نقود ، ومما يحزن أننا أصبحنا نُصنف بما يسمى بالعالم الثالث، أو البلاد النامية، وهوتعبير ملطف ومهذب للبلاد المتخلفة،وهذا مهد لما تسمى بالقوى أن تكالبت وتألبت علينا،والعجيب : أنهم يختلفون فيما بينهم ، ولكن إذا كنا نحن العدو ، أتفقت كلمتهم جميعاً علينا، بل ويتعاونون في تقديم النصح والمساعدة لبعضهم البعض، وهذا ما قاله فقهاؤنا من قبل : الكفر كله ملة واحدة .

أنظر إلى اليهود:عاشوا متفرقين في أنحاء العالم،ولم يجدوا صدراً حنوناً إلا في ديار الإسلام يتعايشون فيه بأمن وأمان، وبين لحظة وأخرى،وفي غفلة المسلمين وتخاذلهم وتناحرهم مع بعضهم،أغتصبوا أرض فلسطين وقِطَعٍ أُخرى ، ولم تتوقف ، وأقاموا دولة على أساس ديني ، سمتها أسرائيل .

فماذا فعلنا لنحرر القدس من أيديهم ، القدس الذي يئن ويتوجع ، القدس الذي يشتكي حاله إلى الله بسبب تهاون المسلمين في فك أسره ، القدس موطن صلاة رسول الله بالأنبياء ومعراجه ، لأنهم مشغولون بالتناطح المذهبي والسياسي ، لأنهم يتناحرون من أجل قضايا خلافية لا تسمن ولا تغني من جوع .

حال المسلمين المحزن والمؤلم ، يجعلني أتذكر ما حدث للمسلمين في ولاية آسام الهندية، حيث ذُبحوا وقُتِلُوا كالنعاج ، لأنهم أذنبوا وأجرموا في نظر من قتلوهم — الرافض لقبول الآخر – وجرمهم أنهم يقولون : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ومع هذا لم يدافع عنهم المسلمون في البلاد العربية .

ولكن العجيب أن الذين يذبحونهم لا يذبحون النعاج،لأنهم يعتقدون أن كل ذي روح حرام قتله،ولا يجوز ذبحه،إنهم يتركون الفئران تأكل القمح،ولا يستعملون المبيدات الحشرية حتى لا يقتلوا ذا روح.

وكنا ننزل الفنادق فلا نجد أي مادة يمكن أن نقتل بها البعوض ، لأن قتل البعوض عندهم لا يجوز ، وقتل أي ذي روح لايجوز ، الدم الوحيد الذي يجوز قتله وسفكه عندهم هو دم المسلمين .

أين المسلمون وسط هذا الزخم من الأحداث ؟ أين رجال الدين — سنة وشيعة – الذين سيسألون أمام الله يوم القيامة ؟ المسلمون منهمكون في دنياهم وحياتهم المعيشية ، وبعض رجال الدين منهمكون في بث

القضايا الخلافية ، والظهور على شاشات التلفاز ، واستعراض الأدلة التي يقوم بتدويرها وليها لتدعيم رأيه للإنقاص من خصمة ودحض حجته، ثم طرحه للخطة التي يقوم بإعدادها للفتك به والقضاء عليه ،وبعض الحكام كل همهم ، إلهاء الشعوب بإثارة الفتن ، من خلال النعرات المذهبية والطائفية ،إذاً : له كل الحق هذا الرجل الغربي ، حين قال متعجباً وحزيناً ومتألماً : ما أعظمه من دين لو كان له رجال .

القواسم المشتركة للتعايش السلمي بين المسلمين:

إن الإسلام أنهى القومية القبلية،والمذهبية المتعصبة،والطائفية العنصرية ، وأوجد حبل الإسلام المتين ، وتعاليمه السمحة المعتدلة،التي تجمع ولا تفرق،تبني ولا تهدم،وتدعو للإتحاد والتعايش وترفض الإقصاء والإختلاف،ولكن الواقع المرير يؤكد كذلك أن العادة جرت أن نمسح عيوبنا وتخلفنا وخلافاتنا وتقهقرنا بأعداء الأمة،وأن نرد إليه ما أصابنا بوعي وبدون وعي،وكان الأجدر أن نلوم أنفسنا قبل أن نلقي باللوم على الأخرين،وفي كل مرة نثبت جدارتنا في سباتنا العميق وفي تخلفنا وقصور عقلنا،دون أن نتحرك ولو لمرة واحدة لندافع عن ديننا،لنثبت أن العيب فينا وليس في إسلامنا ومنهجنا،وفي الحقيقة أننا أشغلنا أنفسنا وإهتماماتنا بالثرثرة اللفظية والتقاليد البالية، والبحث المرير في إيجاد الأدلة التي تؤيد الحكم بالتبديع لحالق اللحية،أو الأكل على المائدة،أوتقصير الجلباب،أو زيارة الأضرحة،أو من يسبح بالمسبحة،أو عمل المرأة والسلام عليها، وغيرها من الأمور التي شغل المسلمون بها أنفسهم ، وتطاحنوا وتنافروا من أجلها ، وهي في مجملها لا تسمن ولا تغني من جوع،بل وصلت الحدة للتعصب والتقسيم مبلغها ، بين مسلمين صنفوا أنفسهم بأسماء ما أنزل الله بها من سلطان .

ولا يخفى على كل عاقل ذي بصيرة ، أننا أصبحنا في عصر لا يعرف إلا التكتل ، فلو تكلمنا بمنطق العصر،أو بمنطق المصلحة،أو بمنطق الدين، فكل هذا يفرض على الأمة الإسلامية، وعلى كل ذي رأي ووعي، أن يسعى إلى الوحدة والتألف والتآخي والتساند،فهي أمة واحدة في كل شيء كما قال ربنا {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ}{الأنبياء:92}

وقال تعالى {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} {المؤمنون:52} هذا في الوقت الذي أصبحنا فيه عالة على من نسميهم أعدائنا ، فالسيارة من صنع أعدائنا،والطيارة والصاروخ والقطار والملبس والمصلى الذي نصلي علية ، والمسبحة، وكل شيء هو من مستلزمات حياتنا نستورده منهم ، بل حتى مرضانا عجزنا أن نعالجهم ونداويهم فذهبنا لمن نسميهم أعدائنا ليكشفوا لنا عن الداء ونستجلب منهم الدواء .

ونحن المسلمون نتشاجر على أمور وقضايا لن تعالج مرضانا ، ولن توجد لنا الغذاء ، ولن تمدنا بملبس نستر به أجسادنا ، وانشغلنا : هل الخليج عربي أم فارسي ؟ وهل الفرقة الناجية هي السنة أم الشيعة ؟ وهل المهدي عليه السلام من السعودية أم من إيران ؟ وهل سيدنا أبو بكر وسيدنا عمر (رضي الله عنهم وعن صحابة رسول الله أجمعين) أحق بالإمامة أم لا ؟ وغيرها من القضايا

وفي المقابل نرى المتباعدين في العالم يتقاربون ونحن نتباعد ، يتوحدون ونحن نفترق ، يتفقون ونحن نختلف ، مع أنهم مختلفون ومتنافرون ، ومتباعدون فكرياً ودينياً وأيدلوجياً وسياسياً .

النصارى:أقترب بعضهم من بعض،رغم اختلاف مذاهبهم،بل كل مذهب كأنه دين مستقل .

واليهود :جمعوا أنفسهم من جميع بقاع العالم واتحدوا من أجل تحقيق حلمهم التوراتي بإقامة دولة صهيون

وعلى الرغم مما أثبته التاريخ من تعدد الحروب وسفك الدماء بين اليهود والنصارى، إلا أنهم تقاربوا وتحالفوا ضد عدوهم – من وجهة نظر بعض المتشددين كذلك – الإسلام،فأصدر الفاتيكان وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح،بعد أن ظلوا عشرين قرناً يُحملونهم تهمة ووزر صلب المسيح عليه السلام

بل حتى العمالقة ممن يعتنقون الرأسمالية والشيوعية تقاربوا ، تقاربت أمريكا مع روسيا ، وتقارب الفريقان مع الصين، الصين الذي يتجاوز تعداده المليار نسمه – أي ما يقارب تعداد المسلمين في البلاد الإسلامية والعربية– ومع هذا يتوحدون تحت راية دولة واحدة،وتصدر قراراتهم واحدة،والمسلمون يتنازعون على مسمى الزعامة الزائفة ، وإذا اتفقوا على شيء كل خمسون عاماً فتلك معجزة .

كل العالم يتقارب ، ونحن المسلمون وحدنا الذين نتباعد ؟ هل هذا يقبله منطق ؟ أو يستسيغه من له مسكة من عقل ؟ وهل تجيزه مصلحه ؟ أو يتلاقى مع منهج ديننا ؟

هل هذا هو ما نكافىء به جهاد نبينا وصحابته الأجلاء ؟ هل هذا يكافىء عظمة ديننا الحق ؟

من المفترض أن نحقق الخيرية التي كرمنا بها ربنا تبارك وتعالى ، ونكون واجهة مشرفة للإسلام ، أمرين بالمعروف وناهين عن المنكر {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ المُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ}{آل عمران:110}

واقع المسلمين يذكرني بما فعله شاس بن قيس،ذلك الشيخ العتي في الجاهلية،عظيم الكفر،شديد الحقد والكراهية والحسد على المسلمين ، فحين رأى وحدة المسلمين وتعايشهم وتجمعهم على قلب رجل واحد ، وما رآه من ألفتهم وصلاح ذات بينهم ، بعد الذي كان بينهم من العداوة في الجاهلية ، فهل فرح لذلك

وأنشرح صدره ؟ كلا ،بل طرح ما أمتلئ به قلبه من حقد وحسد فقال : قد أجتمع بني قيلة بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملأهم بها من قرار .

فماذا فعل من أجل أن يفرق شملهم ويشتت وحدتهم ؟ لقد أمر شاباً يهودياً كان معه ، فقال له : أعمد إليهم فاجلس معهم وذكرهم يوم " بعاث " وما كان قبله ، وأنشدهم بعض ما كانوا تقاولوا فيه من الأشعار ، ففعل ، فتكلم القوم عند ذلك ، وحرك فيهم نزعة الجاهلية وعرق العداوة ،فتنازعوا وتفاخروا ، وتحركت فيهم نوازع العصبية والقبلية،حتى تواثب رجلان،أحدهما هو " أوس بن قيظي " أحد بني حارثة من الأوس ، والأخر " جبار بن صخر " أحد بني سلمة من الخزرج ، فتقاتلا .

ثم قال أحدهما:إن شئتم – والله – رددناها الآن جذعة،وغضب الفريقان،وقالوا:قد فعلنا،السلاح .. السلاح،موعدكم الظاهرة،فخرجوا إليها،وتحاور الناس،وأخذ كل فريق يدعوا أتباعه .

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم،فخرج إليهم ومعه المهاجرين وجمع من الأنصار،فقال " يا معشر الأنصار أمنتم بالإسلام وأكرمكم به،وقطع به عنكم أمر الجاهلية،واستنقذكم به من الكفر، وألف بينكم،أفترجعون إلى ما كنتم عليه كفارا،فعرف القوم أنها نزعة من الشيطان،وكيد من عدوهم،فألقوا السلاح من أيديهم،وعيونهم تزرف الدمع ندماً،وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم البعض ،ثم أنصرفوا مع رسول الله مؤلفة قلوبهم على محبة الله ورسولة ، بعد أن صرف الله عنهم كيد عدوهم شاس بن قيس وما صنع (47).

وإذا كان الرسول قد نهض فى المدينة لمنع الاقتتال والفتنه بين الأوس والخزرج حيثما سعى الحاخام اليهودى شاس بن قيس ، فالواجب اليوم يفرض على علماء الأمة ، وأهل الرأي وأصحاب الاعتدال أن يقتدوا برسول الله ، فيهبوا على قلب رجل واحد لنشر روح التآخي بين المسلمين جميعا ، ولنزع فتيل الفتنة الذى يؤججه بعض المتطرفين والمتزمتين ، وذوى النزعات والأهواء والأغراض الفئوية والشخصية .

لأن الفتن سريعة الاشتعال ، صعبة الإخماد ، كبيرة الخسائر ، لا تندمل جراحها إلا بجهد كبير وأمد بعيد ، تسلب الاعتدال والاتزان والرؤية الموضوعية ،حتى من أصحاب التوازن والاعتدال ، إلا من رحم ربى .

ومن الممكن أن يتحقق كل ما هو إيجابي إذا طبقنا قول الله تعالى {وَلَا تَسْتَوِي الحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ * وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ} {فصّلت : 34- 36} وهذا كفيل بترسيخ مبدأ " التكامل " بدل " الصراع " و" والتعايش " بدل " الإقصاء .

نعم إن بين المسلمين الكثير من العوامل والمقومات المشتركة ، والدعائم القوية المتينة ، التى أرسى مبادئها القرآن الكريم ، ورسخ قواعدها حضرة النبى فى سنته الشريفة ، ما يكفل لتحقيق ذلك، لكى يكون المسلمين أخوة وصفاً واحداً،وجسداً واحداً سليماً من أي عاهات أو أمراض أو أعطاب ، بل إذا أشتكى منه عضوا تداعى له باقى جسد الأمة بالسهر والحمى ، يئن لأنته ، ويفرح لفرحته .

ومن هذه القواسم وحدة العقيدة التي جمعت المسلمين تحت كلمتين، هما : لا إله إلا الله محمد رسول الله، ووحدة المصدر التشريعي – القرآن والسنة – ، ووحدة القبلة ، ووحدة العبادة ، فالعبادة في الإسلام لا تقف في حكمتها ومعناها ومغزاها عند حد التقرب إلى المولى تبارك وتعالى فقط ، بل إن لها من الحكمة ، ما يجعل من تأديتها منبعاً للأخوة والشفقة والرحمة ، ومحفزة للتساند والتعايش والتآلف والتعارف .

فالصلاة : أمرنا ربنا تبارك وتعالى بها للتقرب إليه ، ولكي تكون عاملاً أساسياً للوحدة بين المسلمين ، وصفاً واحداً لا اعوجاج فيه ،ومن أجل تحقيق الوحدة بكل معانيها ، فرض المولى تبارك وتعالى خمس صلوات في اليوم والليلة عل كل مسلم بالغ عاقل ، لكي يتلاقى المسلمون فيها ، فيتعايشون ويتعارفون ويتوحدون ، وتجتمع قلوبهم على محبة الله وطاعته ،بل ومن أجل تحقيق هذه الوحدة من خلال فريضة الصلاة ، أجزل المولى جل وعلا في العطاء ومنح من ينضم لقافلة الجماعة، العديد من العطايا ، فمنح من ينضم للجماعة في الصلاة سبعاً وعشرين درجة يفوز بها،أما من يصلي منفرداً بعيداً عن دائرة الجماعة،فلا يغنم بهذا الفضل الرباني،وفي هذا إغراء شديد للإنضواء والتعايش في كنف الجماعة ونبذ العزلة والفرقة،ودفع بالإنسان المسلم للإندماج والزوبان في دائرة الجماعة والوحدة

ومنح من يصلي في كنف الجماعة ، بفوزه بأنه في ذمة الله وضمانه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " من صلى في جماعة فهو في ذمة الله تعالى "[48] ومما يبين أهمية الجماعة والإتحاد في الإسلام ، وجوبها في أوقات السلم وأوقات الحرب سواء بسواء ، ففي أوقات الحرب تصلي جماعة وتقوم مجموعة أخرى بالحراسة ، فإذا ما فرغت الجماعة التي تصلي ، تبادلت الأدوار.

فأنظر كيف يصنع الإسلام من خلال فريضة الصلاة الإتحاد والوحدة ، فجميع المسلمين في مشارق الأرض ومغربها ، يعلنون عن دخول وقت الصلاة بالنداء بكلمة الله أكبر – سنة وشيعة ، وغيرهم – لا يختلف هذا النداء بأختلاف المكان أو الزمان ، ولا يختلف بإختلاف الجنس أو اللغة ، فالجميع يقولون الله أكبر ، والجميع يقولون في ركوعهم سبحان ربي العظيم ، والجميع يقولون في سجودهم سبحان ربي

الأعلى ، والجميع يقولون في تشهدهم أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن سيدنا محمد رسول الله ، اللهم صلي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم ، والجميع يقولون في نهاية صلاتهم السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وذلك للتأكيد على أن المسلمين حينما فرغوا من صلاتهم للسلام جل وعلا ، فإن شعارهم حين هموا بالاختلاط في الحياة مع بني دينهم وجنسهم هو السلام والمحبة والشفقة ،فيا ترى : أي عبادة أبلغ وأعمق في غرس التعايش والوحدة من صلاة الجماعة ؟ يصلون خلف إمام واحد ، ويناجون رباً واحد ، ويتلون كتاب واحد ، وتوجهون بوجوههم وقلوبهم لقبلة واحدة ، وهي العكبة البيت الحرام ، ويؤدون أعمالاً وحركات واحدة ، وما ذلك إلا لأن الإسلام يكره أن ينحصر الإنسان في نطاق نفسه ، ويكره أن ينأى المسلم بمصلحته بعيداً عن مصلحة الأمة وحياتها وشؤنها .

وفريضة الصوم : بها من دلائل الوحدة ما لايعد ، فجميع المسلمون ، في مشارق الأرض ومغاربها ، يصومون في شهر وحد من كل عام ، وهوشهر رمضان ،بل إن توقيت الصيام يجسد عاملاً حيوياً للوحدة بين المسلمين جميعاً ، حيث يبدأ المسلمون صيام يومهم من طلوع الفجر حتى الغروب ، فليس هناك سني أو شيعي يستطيع أن يخالف الأخر في ذلك ،بل إن الإسلام حين فرض الصيام ، ونادى بهذه الفريضة في القرآن ، نادى بنداء الوحدة " يا أيها الذين أمنوا " وذلك على إعتبار أن القرآن لا يتصور فرقة بين المسلمين تحت أي مسميات أخرى غير أنهم مسلمين ومؤمنين بالله الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد .

وفريضة الزكاة : ووحدت بين جميع الطبقات والأجناس ، وأزالت الشح والبخل والطمع والحرص من نفوس الأغنياء ، واستأصلت الحقد والحسد والبغض من نفوس الفقراء ، وذلك حين فرضت على الأغنياء توصيل بعض ما أنعمه الله عليهم للفقراء ، وما ذلك إلا ليسود المجتمع جو من المحبة والإخاء والتواد والرحمة والشفقة ، فالزكاة فريضة إسلامية على جميع المسلمين – سنة وشيعة – بغض النظر عن بلادهم وازمنتهم ومذاهبهم وتوجهاتم واجناسهم ، ولعل هذا يبرز مدى روابط الوحدة بين المسلمين .

وفريضة الحج : هي من أهم الفرائض التي تعمل على إكتمال حلقات الوحدة بين المسلين ، حيث يجتمع الناس من مشارق الأرض ومغاربها،ويجتمعوا في بيت الله الحرام،على الحب في الله، والتآخي في الله،والتواد من أجل الله،وتحقيق التعارف،الذي جعله الله من أبرز منافع الحج .

فالجميع – سنة وشيعة – تلهج ألسنتهم : لبيك اللهم لبيك ... لبيك لا شريك لك لبيك .. إن الحمد والنعمة لك والملك .. لا شريك لك لبيك ،والجميع متوشحون بإحرامهم ، الذي يشبه حمل الإنسان لكفنه ، حين يذهب يطلب العفو بمن أخطأ في حقه ، وجميعهم يطوفون بالبيت الحرام ، ويقفون بعرفات ، ويطفؤن ظمائهم بشرب ماء زمزم ، وتُكحل عيونهم ، وتشرح صدورهم ، برؤية وزيارة قبر خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ،ولعل هذه المشاعر تعمل على إيقاظ روح الأخوة النبيلة بين المسلمين ، وتقوي أواصر المحبة والمودة ، وتعمل على سد منابع العداء ، والخصام ، والجفاء ، والحقد ، وتقطع الطريق أمام أي محاولة دخيلة ، ينفذ منها الأعداء للوقيعة بينهم .

الخاتمة بأهم النتائج :

1-يتضح من جملة ما تم سرده أن مفهوم التعايش وقبول الآخر في الإسلام قائم على الحرية والمساواة والعدل في الحقوق والواجبات ، وليس على الإلزام والإكراه وفرض سياسة الأمر الواقع كما هو الحال لدى أصحاب الأيدولوجيات الفكرية والمذهبية الأخرى ، الذين يرفعون شعار : الذي لا يسير في ركابنا ويكون معنا فهو علينا وعدونا .

2-إن المنهج النبوي قولاً وفعلاً،هو منهج يؤصل لمفهوم التعايش والتواصل وقبول الآخر على أسس لا تقبل المساس بأمور العقيدة من أجل ترضية الآخر،ولا تقبل الإزدراء بأي معتقد من أجل الإنقاص من منزلة الآخر والتهوين من شأنه وشأن معتقده،ورسخ حضرة النبي لمبدأ الحوار بالتي هي أحسن مع الآخر من أجل مد جسور التلاقي والتعايش،وهذا يستوجب أن يتعامل كل طرف مع الأخر على أساس أن مسلكه "حق أو هو أفضل" ولكن لا يجوز أن يتعامل مع الأخرين عل أساس أن مسلكه هو حق فحسب "وعليك أن تقول الحق في كل ما تقول ، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق،وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه ، ولكن ليس صواباً أن تقول كل صدق " [49]

3-أوجد الإسلام من القواسم المشتركة بين الإنسانية جمعاء ما يكفل لتحقيق التعايش بين بني البشرية ، وأوجد من القواسم المشتركة بين المسلمين أنفسهم ما يكفل لأن يكونوا جسداً وأحداً إذا اشتكى منه عضو تداعى له باقي الجسد بالسهر والحمى ،ويتحقق هذا بعدم التشكيك في النوايا ، فإن القلوب بيد الله ، والصدور لا يعلم ما بداخلها إلا من خلقها ، فعلينا أن نتعامل بحسن الظن ، وحسن النوايا ، وأن نتلاقى

على أساس سلامة الصدر كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقابل أصحابه ، وكان يرفض تلقف أي خبر أو كلام يعكر صفو اللقاء والتعايش .

4-على الحكام والعلماء والمصلحين والتربويين أن ينتهجوا نهج رسول الله وهو القدوة والأسوة ، في العمل على إشاعة روح التسامح والإخاء بين أبناء الأمة المحمدية ، وأن يعملوا على إزالة ما علق بالأذهان من قضايا خلافية أودت بالأمة جراحاً وانشقاقاً،وظن بعض الجهال من العلماء والساسة أنهم بمتاجرتهم بهذه القضايا أنهم يحصدون خيري الدنيا والأخرة،وأوهموا العامة أنها قربة يتقرب بها العبد إلى الله ،وهؤلاء نسوا أن الله قال { إذ تَبَرَّأَ الذين اتُّبِعُوا مِنَ الذين اتَّبَعُوا وَرَأَو العَذابَ وتقطعت بِهِمُ الأَسبَابُ * وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَو أَنَ لَنَا كَرَةً فَنَتَبَرَّأَ مِنهُم كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ الله أَعمَالهُم حَسَراتٍ عَلَيهِم } (سورة البقرة : 166 – 167) والرسول الكريم قرر : أن من سن سنةً حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إى يوم القيامة ، ومن سن سنة سيئةً فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

قائمة المراجع والمصادر :

1-القرآن الكريم

2- السنة النبوية المطهرة من الصحاح والسنن والمسانيد.

المعاجم اللغوية :

1- معجم اللغةالغربية ، المعجم الوجيز ،مادة " أ "، ومادة " ع " طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، مصر 1993 م

2- ياقوت الحموي : معجم البلدان ، مطبعة البابي الحلبي ، بدون

المراجع العامة :

1-ابن هشام : السيرة النبوية ، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، القاهرة .

2- أبو محمد بن سعيد البيلاوي : التقليد المشروع منه والممنوع ، ص9، دار الفرقان، باكوس.

3- أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي : مشكلة الحرب والسلام ، ترجمة :شوقى جلال وسعد رحمي ، دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ .

4-أشرف عبد الرافع الدرفيلي : الحرية والمعرفة عند الإمام بديع الزمان سعيد النورسي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة 2010 م

5-أشرف عبد الرافع الدرفيلي : نحو التوحد الإسلامي الكبير،سوزلر للنشر،القاهرة 2011 م

6-بديع الزمان سعيد النورسي : مجموعة رسائل النور " الكلمات – المكتوبات – اللمعات – الشعاعات – الملاحق – صيقل الإسلام – المثنوي النوري العربي – مرشد أهل القرآن – ترجمة إحسان قاسم الصالحي ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، 2004 م

6-خديجة النبراوي : مشكلات نفسية للإنسان ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، 2004 م

7-علماء وزارة الأوقاف: صور من حياة الرسول في مكة، طبعة وزارة الآوقاف بالقاهرة،بدون.

8-علماء وزارة الأوقاف:صفحات من سيرة الرسول الكريم،طبعة وزارة الأوقاف بالقاهرة،بدون

9-د/ عشراتي سليمان : النورسي في رحاب القرآن ، سوزلر للنشر ، القاهرة ، 1999 م

10- د/ منيب محمد ربيع: ضمانات الحرية في النظام الإسلامي وتطبيقاتها، سلسة البحوث الإسلامية ، القاهرة ، 1983م .

11- محمد حلمي خضر:الرياض الندية في الخطب المنبرية ، مكتبة الرشاد ، جدة 1985 م .

12- ممدوح الشيخ : السلفيون من الظل إلى قلب المشهد ، قطاع الثقافة بدار أخبار اليوم ، ط 10 ، القاهرة 2011 م

وعلى الله قصد السبيل .. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الهوامش

(1) معجم اللغةالغربية ، المعجم الوجيز ، مادة " ع " طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم ، مصر 1993 م، ص443

(2) مشكلة الحرب والسلام :مجموعة من أساتذة معهد الفلسفة وأكاديمية العلوم بالاتحاد السوفيتي، ترجمة :شوقى جلال وسعد رحمي – دار الثقافة الجديد بمصر، بدون تاريخ، ص ٢١٠

(3) معجم اللغةالغربية ، المعجم الوجيز ، مادة " أ " ص8 – 9 بتصرف .

(4) ممدوح الشيخ : السلفيون من الظل إلى قلب المشهد ، قطاع الثقافة بدار أخبار اليوم ، ط 10 ، القاهرة 2011 م ، ص 113 – 115 بتصرف .

(5) أنظر بتوسع في كتابنا: نحو التوحد الإسلامي الكبير،دار سوزلر للنشر، القاهرة ، 2011 م،ص 16 - 22

(6) النورسي : المكتوبات ، ترجمة إحسان قاسم ، ص 412-413 ، سوزلر، القاهرة، 2004م .

(7) حديث شريف رواة الإمام مسلم في صحيحه .

(8) حديث شريف : رواة مسلم ،كتاب البر باب تحريم ظلم المسلم ج 4 ص1987

(9) النورسي : المثنوي النوري العربي ، ترجمة إحسان قاسم ، ص 181، سوزلر، القاهرة، 2004م .

(10) حديث شريف رواة الإمام البخارى في صحيحه .

(11) حديث شريف رواة الإمام مسلم في صحيحه .

(12) النورسي: صقيل الإسلام ، ص398 ،399

(13) النورسي : صقيل الإسلام ص337

(14) حديث شريف أخرجه البخاري في كتاب الجهاد ، باب من قتل معاهداً ، رقم 3166 .

(15) حديث شريف ، رواه أبو داود في كتاب الجهاد ، باب الصلح .

(16) حديث شريف رواه البخاري في صحيحه عن سيدنا ابو هريرة .

(17) حديث شريف رواه البخاري، كتاب الدعوات، باب الدعاء للمشركين برقم ٦٠٣٤

(18) حديث شريف رواه مسلم :كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبو هريرة الدوسي، برقم ٢٤٩١

(19) علماء وزارة الأوقاف: صور من حياة الرسول في مكة، طبعة وزارة الآوقاف بالقاهرة،بدون،ص79 ، 80

(20) المرجع السابق نفسه : ص 82 – 83 بتصرف .

(21) علماء وزارة الأوقاف : صفحات من سيرة الرسول الكريم ،طبعة وزارة الأوقاف، القاهرة بدون،ص24- 25

(22) المرجع السابق نفسه : ص 25 – 27 بتصرف .

(23) سورة فصلت : الآيات 1 – 20 .

(24) علماء وزارة الأوقاف: صور من حياة الرسول في مكة،ص152 – 174 بتصرف .

(25) علماء وزارة الأوقاف: صور من حياة الرسول في مكة،ص180 – 185 بتصرف .

(26) أنظر بتوسع : ممدوح الشيخ : المرجع السابق ، ص 113 – 146 .

(27) سورة البقرة : الآيات 30 – 34 / سورة الكهف : 50 .

(28) سورة الأعراف : الآيات 11 – 13 .

(29) البيت منسوب لعبدالله بن معاوية بن جعفر بن ابي طالب : أدب الدنيا والدين للإمام الماوردي ، صـ 37 ، وكذلك منسوب للإمام الشافعي : ديوان الشافعي ، صـ91

(30) سورة البروج : الآيات 1 – 10 وأنظر حديث طويل في صحيح مسلم عن أصحاب الأخدود رقم 7703.

(31) سورة النمل : 54 – 56

(32) سورة يوسف : الآيات 4 – 9 .

(33) أنظر / سورة ص : الآيات 71 – 82 / سورة الأعراف : 10 – 22 / سورة فاطر : 6 .

(34) حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، رقم 275 ، وراجع حديث 2130 .

(35) أنظر بتوسع : محمد حلمي خضر:الرياض الندية في الخطب المنبرية ، مكتبة الرشاد ، جدة 1985 م .

(36) حديث شريف رواه الإمام أحمد .

(37) حديث شريف رواه الطبراني والبيهقي .

(38) حديث شريف رواه الطبراني .

(39) حديث شريف رواه الطبراني والحاكم وابن خزيمة .

(40) حديث شريف رواه الطبراني ورواته ثقات .

(41) حديث شريف رواه الترمذي وابن حبان وابن خزيمة والحاكم صححه .

(42) حديث شريف رواه الترمذي .

(43) حديث شريف ذكره القرطبي وقال : حديث حسن .

(44) حديث شريف رواه البخاري في صحيحه.

(45) أنظر كتابنا : نحو التوحد الإسلامي الكبير ، سوزلر ، القاهرة ، 2011 م

(46) حديث شريف أخرجه أبو داود والإمام أحمد من حديث سيدنا ثوبان .

(47) يوم بعاث هذا هو أخر الحروب بين الأوس والخزرج ، أنظر : السيرة النبوية لأبن هشام : ج1، ص555، ومعجم البلدان لياقوت الحموي ج1، 451، وأنظر البخاري في صحيحه :كتاب التفسير ، سورة المنافقون أية 8 .

(48) حديث شريف : رواه الإمام الطبراني ، والإمام أحمد .

(49) بديع الزمان النورسي: المكتوبات ص338- 339 بتصرف .